

اسهام السلطان سليمان القانوني في التطور العمراني الجديد للقدس ١٥٢٠م-١٥٦٦م

د. صالح علي الشورة *

تاريخ قبول البحث: ٢٠١٥/٨/٥م

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٥/٢/٦م

ملخص

يرصد هذا البحث التطورات العمرانية الجديدة التي حدثت في القدس بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني ١٥٢٠م-١٥٦٦م بشكل مباشر أو من خلال وكلائه فيها. لذا توقف الباحث عند أهم المنشآت والترميمات الحيوية التي حدثت في الفترة المبحوثة وهي سور القدس، وقلعة القدس، وقبة الصخرة، وقبة السلسلة، وأبواب القدس، والعمارة العامرة، والمنشآت المائية. ويبرز في عملية الإعمار النمط العسكري العثماني الذي ساد في بلاد الشام في تلك الفترة، الأمر الذي انعكس على الهوية المعمارية للمدينة، ولم تهدف أعمال البناء التي أمر بها السلطان سليمان بالدرجة الأولى إلى تحديث القدس فحسب، بل تعدتها إلى تجديدها مع مراعاة خصائص العمارة التقليدية المحلية. كلمات مفتاحية: القدس، إعمار القدس، السلطان سليمان القانوني.

Abstract

This article tracks the new architectural developments, which were ordered to take place in Jerusalem either directly by Sultan Suleiman the Magnificent or by the order of his representatives in the city during the period 1520-1566. The researcher has discussed the main constructions and the vital repairs which were achieved during that period. These constructions and repairs include: Al-Quds' Wall, the Castle, the Dome of the Rock, the Dome of al-Silsila, al-Quds' Gates, al-'Imarah al-'Amirah, and water constructions. The article also shows how the Ottoman military style is manifested in these repairs, which was also dominant in Bilad el-Sham "Greater Syria" in that period. This style was reflected on the city's architectural nature taking into account that those constructions which were ordered by the Sultan did not only aim at modernizing al-Quds, but also at renewing it with the preservation of its traditional local features.

Keywords: Al-Quds, al-Quds' constructions, Sultan Suleiman the Magnificent.

* أستاذ مساعد، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

المقدمة:

قبل الشروع في الحديث عن إعمار السلطان سليمان القانوني في القدس لا بد من التعريف به: هو السلطان سليمان بن سليم الأول، وترتيبه العاشر بين سلاطين الدولة العثمانية. تولى الحكم سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، حتى وافاه الأجل سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م. ^(١) كان رؤوفاً مشفقاً على الرعية، مستقيم الدين، صادق الاعتقاد من جهة، وجسوراً مقداماً فاتحاً من جهة أخرى، فقد بلغت فتوحاته قلب أوروبا حتى لقبه الأوروبيون بـ "سليمان العظيم"، ولكن أهم لقب، التصق به هو القانوني، لأنه اكتملت في عهده كل قوانين الدولة ^(٢).

وليس هناك من شك، بأن السلطان سليمان القانوني أولى كل الرعاية لمكة والمدينة والقدس عملاً بالحديث الشريف "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" ^(٣)، وكان لمدينة القدس رعاية خاصة من إجراء لإصلاحات وترميمات داخل المدينة دعت إليها أمور عدة، ومنها:

اتساع المدينة وزيادة عدد السكان، حيث تفيد إحصاءات دافعي الضرائب بأن فترة حكم السلطان شهدت نمواً متزايداً بشكل مضطرد في عدد سكان القدس، وهي

التي كانت تضرب على نفسها شبه عزلة لا تمكنها من استقبال مرديها، ومحبيها، فبينما كان عدد ساكنيها لا يتجاوز ٤ آلاف نسمة عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م ارتفع العدد إلى حوالي ١٣ ألف نسمة عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م ^(٤). إن ارتفاع عدد السكان إلى ثلاثة أضعاف خلال ثلاثين عاماً، يعدّ مؤشراً على الجاذبية الجديدة للمدينة، التي نتجت بشكل رئيس عن برنامج تطوير واسع النطاق أمر به السلطان سليمان. علماً بأن زيادة عدد السكان كانت مضطردة بالنسبة لسكانها من المسلمين ^(٥) وقد تمت عملية التحول مراعية لأسلوب الفن المعماري الإسلامي وبخاصة المدرسة الحلبية في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد المتمثل في الأفاريز المسننة التي تستخدم في زخرفة الأبواب والأقواس والنوافذ بالإضافة إلى الأقواس والقباب التي تميز بها هذا الفن، ويورد بشير بركات على لسان أوليا جلبي إن السلطان سليمان هو بحق مجدد للمدينة ^(٦).

دعت الحاجة لبناء سور جديد للمدينة بدلاً من السور الذي تهدم جراء الحروب، وتقلبات الطقس سنة ٩٦٦هـ/ ١٢١٩م ^(٧) وضرورة المحافظة على الأماكن المقدسة في المدينة، فقد تم ترميم قبة الصخرة المشرفة وتطعيمها بالقاشاني ^(٨)، كما تم ترميم باقي

وحلب وأرسلهم إلى القدس^(١١)، حتى بات زائر القدس إبان حكم السلطان سليمان القانوني يسمع في الصخور الصم صليلاً وزجلاً، وكان من أهم الترميمات التي قام بها السلطان في القدس هي:

سور القدس:

اتسعت مدينة القدس إبان حكم السلطان سليمان، فبعد أن كانت القدس مدينة صغيرة مربعة الشكل لا تتجاوز مساحتها المسورة: سبعمائة ألف متر مربع، اتسعت لتضم حارات امتدت خارج السور، وتخوف الناس من تجدد الهجمات الصليبية، مما حدا بالصدر الأعظم أن يتحسب لما هو قادم، فأصدر من فوره قراراً بإعادة بناء السور من الجهة الغربية والجنوبية، والذي تم من خلاله اختتام مرحلة حاسمة من التاريخ الإسلامي في المدينة^(١٢). علماً بأن سور القدس قديم، منذ عهد اليبوسيين الكنعانيين، ولكن السور الذي جدده السلطان سليمان هو بقايا السور المتهدم الذي شيده الأيوبيون أي الذي كان موجوداً في العصور الوسطى^(١٣) وقد أوكل السلطان النظر على بناء السور للأمير "بيرام جاويش" الذي لجأ بدوره إلى القاهرة للتعاقد مع أصحاب الخبرة لبناء

أماكن الحرم القدسي الشريف، وقبة الصخرة، وأبواب القدس الشريف، وإنشاء أسبلة لتزويد المدينة بالمياه، وأشرف من خلال وكلائه على رغبة زوجه بإعمار العمارة العامرة، وكل ما يتعلق بها. وهذا ما يؤكد "ميشيل ماينكه" حينما يقول: "رسم السلطان سليمان خان، القدس وحصنها، وحدد بناء سورها القائم حتى اليوم، وفتح له أبواباً كبيرة، وبنى المدارس، وشيد المساجد ورمم ما كان قد اندثر منها"^(٩).

أما السبب المباشر للعناية بالقدس من قبل السلطان سليمان كما يشير الرحالة أوليا جلبي الذي زار القدس سنة ١٠٨٢هـ/١٦٧٢م بأن السلطان سليمان رأى في المنام النبي محمد ﷺ في ليلة من ليالي رمضان، وأمره فيما يتعلق بالقدس بأن يحصن قلعتها ليصد الكافرين عنها، ويزين حرمها بحوض للماء، وأن يتفق على فقرائها، وأن يزين صخرة الله، ويعيد بناء مدينة القدس^(١٠) وفي اليوم التالي لحلم السلطان، أرسل من فوره صرة إلى القدس، ونقل مصطفى باشا من ولاية مصر إلى ولاية الشام ليشرف على ترميم القدس، فقام الأخير بحشد جمع غفير من البنائين والمهندسين والنحاتين في القاهرة ودمشق

السور، فتم الاتفاق على ذلك لقاء عشرة آلاف قطعة عثمانية^(١٤) وبدأت التبرعات تنهال من شتى أرجاء فلسطين في شهر رجب من عام ١٥٤٣هـ / ١٥٣٦م لتستمر حتى شهر ذي القعدة من عام ١٥٤٤هـ / ١٥٣٧م^(١٥). ويمكن تحديد خطوات بناء السور البالغ طوله أربعة كيلو متر، يشمل سور الحرم الجنوبي وزاويته الجنوبية الشرقية، وسور القلعة في الجهة الغربية بناءً على النقوش الثلاثة عشر المنتشرة على جوانب السور، حيث بدأ البناء في الجزء الشمالي الغربي سنة ١٥٤٤هـ / ١٥٣٧م. وقد ظهر فن العمارة العسكرية العثمانية بشكل واضح في بناء السور، من حيث طريقة الحراسة والمراقبة، ووجدت فيه طاقات يصب منها الزيت المغلي لدفع الأعداء، وفيه فتحات صغيرة لرمي السهام، وله أربعة وثلاثون برجاً^(١٦). كما تشير ثلاثة نقوش كتابية كانت تنطلق من الاعتراف بفضل هذا السلطان في تعمير القدس، نقشت على باب العامود، حين انتهى بناء السور مع اكتمال بناء الجزء الجنوبي سنة ١٥٤٧هـ / ١٥٤٠م، ومن هذه النقوش: (أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان سليمان بن سلطان سليم خان بتاريخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة)

وعلى جهة أخرى (أمر ببناء هذا السور المبارك مولانا السلطان سليمان بن سليم خلد الله ملكه بتاريخ شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وتسعمائة)^(١٧).

بلغ ارتفاع سور القدس حوالي ١٢,٥-١٣,٥م، في حين يزيد عرضه في بعض الأماكن على المترين. أما بالنسبة لطول السور فهو يختلف من جهة إلى أخرى حيث يبلغ في الناحية الشمالية منه ما يقارب ١٣٠٠م، ومن الجهة الشرقية: ٩٢٠م، أما من الناحية الجنوبية فقد كان ١٠٨٠م، ومن جهته الغربية وصل طوله ٦٩٥م^(١٨). وقد تم الانتهاء من بناء السور سنة ١٥٤٧هـ / ١٥٤٠م، وكان محمد جلبي باشا الذي كان أميناً على الأموال السلطانية وعلى عمارة السور، هو المشرف والأمين على بناء كامل السور، والمتصرف بالأموال السلطانية التي رصدت لأعمال البناء^(١٩). بني وأعيد ترميم خمسة وثلاثون برجاً للمراقبة في السور، ولكن بعض الأبراج لم يكتمل بناؤها. ويعد برج اللقلق أجملها، الذي يتكون من طابقين من البناء، حيث إن الطابق الأول عبارة عن غرفة شبه مربعة، أما الثاني فهو عبارة عن ساحة مكشوفة تحيط بها نهايات ارتفاع سور

شاخحة كما كانت^(٢٥). وقد جاءت فكرة ترميم القلعة تزامنا مع انتهاء جمع الأموال من المتبرعين وهي التي شكلت الأموال الدفعة الأولى التي أعطيت للجلي للمباشرة بأعمال الترميم^(٢٦). وكان بناء القلعة يحاكي القلاع التي بنيت في عهد الدولة المملوكية خاصة السائدة في دمشق، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن السلطان سليمان قد سيطر على ميراث المماليك^(٢٧) من خلال هذا الترميم، ويتضح هذا الأمر في النقوش التي وجدت على القلعة وهي تحاكي المصطلحات المملوكية كمثل السلطان سليمان عز نصره، ومولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر سليمان شاه^(٢٨) كما وجد في القلعة أبراج للمراقبة عددها خمسة، وكان أكبرها برج داود الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية منها^(٢٩).

تمّ نقش اسم السلطان سليمان على البوابة الجديدة ليبيّن الهدف من بناء القلعة، ألا وهو توفير الأمن لأهالي القدس. ووجد نقش آخر يشير إلى اسم السلطان سليمان كصاحب فضل في إعادة بناء القلعة جاء فيه: أمر بترميم الحصنة الشريفة السلطان الأعظم والخاقان المعظم، مالك رقاب الأمم... السلطان ابن عثمان سليمان

القدس من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية^(٢٠). ويعتقد بعضهم أن التسمية جاءت من أحد القادة الصليبيين، واسمه "غوظفرد" الذي اقتحم السور سنة ١٠٩٩هـ/١٠٩٩م، وكان يتخذ من اللقلق رمزاً له^(٢١) وتبرز هذه الأبراج من السور لكي تعطي أفضل مجال للرؤية للحراس، وذلك للمراقبة وللدفاع عنه، ويكون علو هذه الأبراج ثلاث طبقات، استخدمت الطبقة السفلى منها مخازن واسطبلات للخيل، وجعلت الوسطى مسكناً للحراس، أما الطبقة العليا فاستخدمت للحراسة^(٢٢). ظلت مدينة القدس طوال ثلاثة قرون تغلق أبوابها على ساكنيها بعد الغروب، والذي يتأخر عن هذا الموعد فعليه أن يبيت ليلته خارج أسوار المدينة^(٢٣).

قلعة القدس:

كان هم السلطان سليمان هو إعادة تفعيل النظام الدفاعي في المدينة، وهو ما وجده في تجديد بناء القلعة الخربة الواقعة في الجهة الجنوبية منها، فتم ترميمها سنة ١٥٣٨هـ/١٥٣٨م. بعد أن تصدعت مبانيها وأصبحت آيلة للسقوط في القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي^(٢٤)، كما أضيف ممر شرقي للقلعة حتى وقفت القلعة

الثاني^(٣٠). ويرجح صاحب كتاب المفصل في تاريخ القدس، أن المقصود بسليمان الثاني هو سليمان القانوني نفسه، وهذا من باب التواضع على اعتبار أن سليمان الأول هو سليمان بن داود عليه السلام^(٣١)، كما وأضيف لمسجد القلعة مئذنة مستديرة سنة ١٥٣١/٩٣٨م، فوق البرج الجنوبي للقلعة تتألف من ثلاثة طوابق حجرية^(٣٢). ومن اللافت للنظر تلك النافذة الصغيرة المستديرة التي تُطلّ من المئذنة على الساحة الداخلية من الجهة الشمالية، حيث يشير إطارها العريض إلى عنصرٍ من عناصر العمارة المملوكية^(٣٣).

قبة الصخرة المشرفة:

لقد استأثرت قبة الصخرة بأول أعمال البناء الضخمة التي أنجزها السلطان لأنها المبنى المركزي المقدس، فقد أجريت ترميمات عدة على القبة المشرفة سنة ٩٥٥-٩٦٩هـ/١٥٤٩-١٥٦٢م^(٣٤)، وقد كتب المعلم النقّاش عبدالله التبريزي الذي عينه السلطان ليشرّف على زخرفة القبة^(٣٥)، نقشاً يشير إلى أن الترميم حدث في عهد السلطان سليمان، ومما جاء فيه "جدد بحمده قبة الله من الصخرة ببيته المقدس... في ظلال السلطان الأعظم أبي الفتوحات سليمان خان...."^(٣٦). وقد تم تلييس القبة

المشرفة بالقاشاني الذي جيء به من الأستانة سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٩م وقد اشتملت أول دفعة على (٣٤٥٤) لوحا قاشانياً منها (١٧٤٧) لوحا ملونا تسلمها فتح الدين بن ميرك جان الناظر الشرعي على تلييس القبة بالقاشاني^(٣٧) ثم أتى بالوواح القاشاني تبعاً، وتم تخزينها في إحدى غرف القبة النحوية^(٣٨).

أنفق على هذه الترميمات أموال خصصت لهذه الغاية من أموال الخاص الشريف السلطاني من دمشق، وجبل نابلس، والقدس، والرملة، حيث يرد في السجلات الشرعية أن بيرم جاويش تسلم (٨٨٢٥٧) أقة^(٣٩) سنة ٩٥٦هـ/١٥٤٩م، لصرفها على أعمال عمارة القاشاني^(٤٠)، كما وجد نقش في القبة المشرفة يؤرخ لعملية الإعمار هذه كتب عليه: "...أمر بتجديد هذا الكاشاني المقام الشريف السلطاني مولانا السلطان سليمان بن سليم... في تسعة وستين وتسعمائة"^(٤١) استمرت عملية البناء والترميم إلى ما بعد سنة ٩٦٩هـ/١٥٦٢م فقد أمر السلطان سليمان القانوني بتجديد ثلاثة من أبواب القبة المشرفة التي تم تصفيحها بالنحاس الذي تم إحضاره من عاصمة الخلافة آنذاك، ومن عدة قرى من أعمال مدينة الرملة والقدس

سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٤م^(٤٢). وتم تجديد النوافذ الزجاجية في قبة الصخرة في عام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م^(٤٣). ويقول ماينكه: إن ترميم قبة الصخرة على يد السلطان سليمان الذي استغرق ما يقرب من أربعين عاما قد دفع أوليا جليبي إلى كتابة الملاحظة الآتية: (ولما كان السلطان العثماني في هذا الزمان هو أكثر حكام العالم تشریفاً واحتراماً... فقد جعل من هذا الصرح جنة لا مثيل لها على الأرض... لأن السلطان وحده هو القادر على أن يكون مالكاً لبيت الله)^(٤٤).

قبة السلسلة:

إحدى قباب المسجد الأقصى المبارك، تقع على بعد ثلاثة أمتار من الباب الشرقي لقبة الصخرة المشرفة، في قلب صحن المسجد الأقصى، وكانت قد بنيت بأمر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان قبل قبة الصخرة، ويرجح البعض أنها بنيت كنموذج لبناء قبة الصخرة بين عامي ٦٥-٦٨هـ/ ٦٨٥-٦٨٨م، وقد اتخذها الخليفة سليمان بن عبد الملك مجلساً له ينظر فيها أمور الرعية، كما استخدمت فيما بعد مقراً للعلم والعلماء للتعليم والسماع، واستخدمت أيضاً للصلاة والتعبّد. أما تسميتها، فيقال إنها أخذت من سلسلة حديدية كانت تتلذ في وسطها، ولكن لا دليل على

ذلك، وللقبة أحد عشر ضلعاً، ومحراب واحد في جنوبها جهة القبلة، وتستند هذه الأضلاع إلى أحد عشر عموداً رخامياً، وفي وسطها ستة أعمدة أخرى تحمل رقبة مغلقة سداسية، تعلوها القبة.^(٤٥) تم في عهد السلطان سليمان استبدال فسيفساء قبة السلسلة بالقاشاني، وأضيف إلى البناء القديم محراب زين بالقاشاني أيضاً^(٤٦) سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م وقد وضع فخر الدين بن فضل الله معلم كاشي (قاشاني) قبة السلسلة في إحدى زوايا المسجد الأقصى (١٥٦٠) لوحا قاشانيا يبلغ ثمن كل لوح منها ثلاث قطع فضية، و(٣٣٠) لوحا آخر، قيمة كل لوح منها: ثلاثون قطعة فضية.^(٤٧) ويوجد فوق محرابها نقش فسيفسائي مكوّن من سطرين ويبلغ طوله حوالي ثلاثة أمتار، وينصّ على أنّ قاشاني الفسيفساء تم تجديده بأمر من السلطان سليمان عام ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م. ويتكوّن بلاط النقش من كتابة باللون الأبيض على أرضية بنية غامقة يعلوها زجاج شفاف، وهي تطابق من الناحية الفنية، فسيفساء باب قبة الصخرة الشمالي.^(٤٨) كما أعيد تجديد قنطرة ميزان وهو الاسم الذي أطلق على القنطرة الغربية الشمالية في صحن قبة الصخرة في أواخر ولاية السلطان سليمان سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م.^(٤٩)

باب الأسباط:

هو الباب الذي يفتح على الحرم القدسي الشريف من الجهة الشمالية الشرقية، ويقع في سور القدس الشرقي وهو الباب الوحيد المفتوح في هذا الجدار، تم ترميمه سنة ١٥٣٨/هـ، واستعملت في إعادة بنائه حجارة خان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦/هـ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، بعد أن قام البناؤون بهدمه سنة ١٥٣٦/هـ (١٥٣٦م). شارك في ترميم سور المدينة القديمة فريق من معماريين محليين ووافدين من مدينة حلب، كما وجد على جانبي الباب نقش لأسدين نافرين أحضرا من بقايا حجارة خان الظاهر بيبرس الذي أقامه إلى الغرب من بلدة القدس القديمة^(٥٠)، وهناك نقشان على الباب أحدهما باللغة العربية ومما جاء فيه: أمر بإنشاء هذا الباب مولانا السلطان سليمان... بتاريخ سنة خمس وأربعين وتسعمائة^(٥١) والآخر بالتركية يفيدان بأن السلطان سليمان القانوني أمر بإعادة بناء الباب في مكانه القديم^(٥١). وهذا النقش يتكرر على جميع البوابات التي رمت من قبل السلطان سليمان مع مراعاة الاختلاف في تاريخ انتهاء عملية الترميم. يظهر في واجهة باب الأسباط الكبيرة ميزات وخصائص العمارة العسكرية التي سادت في

القرن السادس عشر ميلادي، والتي تنتمي إلى مدرسة العمارة العثمانية مع الإبقاء على بعض تقاليد العمارة المملوكية، وقد بنيت الواجهة من حجارة كبيرة الحجم خاصة المداميك السفلية، وتم فتح باب مستطيل وسط هذه الواجهة متراجعا قليلاً عن مستوى الواجهة.^(٥٢)

باب العامود:

يقع في الجهة الشمالية من سور القدس، وسمي بهذا الاسم لوجود عامود من الجرانيت الأسود في أعلاه تمثل أدرينانوس أو هادريانوس الذي أعاد بناء القدس سنة ١٣٥م^(٥٣)، لكنه أزيل من مكانه الذي كان يتوسط الساحة الداخلية وراء الباب، وقد جُدد بناء الباب في موقعه القديم سنة ١٥٤٧/هـ ١٥٤١م، وهو الباب الأكبر لبوابات القدس، وله أسماء عدة أهمها: باب دمشق لكونه معبراً لدخول وخروج القوافل من، وإلى دمشق.^(٥٤) يقوم فوق الباب عقد وفوقه برج حجري صغير محمول على عقدين حجريين، وتبرز العمارة العسكرية العثمانية في بناء هذا الباب بشكل لافت.^(٥٥) وهناك نقش تذكاري بين العقد والمدخل، يبين اسم السلطان سليمان وألقابه، وسنة تجديد الباب، وجاء في هذا النقش "أمر بإنشاء هذا الباب مولانا السلطان الأعظم

تذكاري بين المدخل والعقد، يبين اسم السلطان وألقابه، وسنة البناء. كما تظهر مميزات العمارة العسكرية العثمانية في هذا الباب من حيث الضخامة، والارتفاع، والبرج الحجري الذي كان يستخدم للمراقبة. (٦١)

باب الخليل:

يقع في الجدار الغربي لسور مدينة القدس القديمة، مقابل قلعة القدس. وقد ذكره المقدسي باسم "باب محراب داوود" ويتكون من مدخل، وعقد حجري كبير مدبب، وبينهما نقش كتابي حجري يبين اسم السلطان نفسه وألقابه. (٦٢) وقد تم ترميمه سنة ١٥٣٨/٩٤٥م. ويرجح أن فريقاً من معماريين محليين ووافدين من مدينة حلب قاموا ببناء الباب، وهذا الباب كان يستقبل القادمين إلى مدينة القدس القديمة من الغرب والجنوب، لذلك سمي باسم مدينتي الخليل ويافا الواقعتين غرب هذا الباب وجنوبه. (٦٤)

العمارة العامرة أو مجمع خاصكي سلطان: (٦٥)

ازدادت حاجة السكان لمياه الشرب باضطراد مع زيادة أعدادهم نظراً لاتساع المدينة، وتهافت الناس عليها من كل حذب

والخاقان المكرّم سلطان الروم والعرب والعجم... سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٨م. (٥٦)

باب الساهرة:

يقع أسفل برج السور من الجهة الشمالية، وتم فتحه على شكل قوس نصف دائري، وتوجد أعلى الباب طاقة صغيرة للمراقبة، وأعيد بناؤه في موضعه القديم سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م، غير أن البنايين أحدثوا في الباب قوساً مستديراً على شكل قوس في الجهة الشمالية، وأغلقوا الباب الصغير الذي كان مفتوحاً على الناحية الشرقية لبرج باب الساهرة. (٥٧) يتكون هذا الباب من مدخل وعقد مدبب، وبينهما نقش حجري كتابي تذكاري يبين اسم السلطان سليمان وألقابه. (٥٨)

باب النبي داوود:

يقع في المدخل الجنوبي الغربي لمدينة القدس، وقد رمم زمن السلطان سليمان القانوني أيضاً، وهو باب كبير وضخم، ومرتفع (٥٩) ولم يجد الباحث ما يشير إلى الإجراءات الفنية المعمارية التي اتخذت بشأن هذا الباب إلا النقش الذي وجد فوقه والذي يؤكد بأن الترميم حدث عام ٩٤٩هـ/١٥٤٢م (٦٠) ويعلو مدخل الباب عقد حجري مدبب، ويوجد نقش كتابي حجري

وصوب، فزاد الطلب على إيجاد دور لإيواء وإطعام الفقراء والمحتاجين، وعابري السبيل، وطالبي العلم ممن قصدوا المدينة بغية إذكاء قيمهم الروحية، فأنشئت الأسبلة، والأقنية، والبرك وتم ترميم الدشايش القديمة التي تهدمت، والتكايا والزوايا والحمامات التي كانت تؤوي العديد من حجاج بيت المقدس، بأمر من السلطان القانوني،^(٦٦) والدشايش: هي جمع دشيثة وهي طعام مشوي من القمح المرصوص، ويتم طبخها بالماء وقليل من السمن كانت تقدم للفقراء، ثم أصبحت تطلق مجازاً على المطابخ التي تقدم الطعام للفقراء،^(٦٧) أما التكايا: فجمع تكية وهي الزاوية التي يتم وقفها لإيواء كل من تقطعت بهم السبل.^(٦٨)

تكية خاصكي سلطان:

تقع في منتصف الطريق الواصل بين سوق خان الزيت وطريق باب الناظر المؤدي إلى الجهة الغربية من القدس. فقد حدت وقفته المكتوبة باللغة التركية تاريخ الفراغ من تعميره في ٣٠ جمادى الأولى ٩٥٩ هـ الموافق ٢٤ أيار ١٥٥٢ م، ووصفت ساحته الكبرى وأجنحته وبواباته وغرفه.^(٦٩) وقد تم استخدام مرافق المجمع كافة بعد ذلك بخمس سنوات في ١٥ شعبان ٩٦٤ هـ/

الموافق ١٣ حزيران ١٥٥٧ م.^(٧٠) ولهذا المبنى الكبير مدخلان: مدخل شمالي، يقع على طريق عقبة التكية، ومدخل جنوبي يقع على طريق عقبة السرايا. وقد أنشئت التكية في عهد السلطان سليمان القانوني من قبل أقرب زوجاته إلى نفسه وهي خرم شاه أو كما تعرف بخاصكي سلطان، زوجة السلطان سليمان القانوني ومنها جاءت التسمية، وهي أول امرأة تبرز بدورها من خلال لقبها كزوجة السلطان، وقد عرف عنها حبها للرعية، وربما كان سبب ذلك أنها كانت جارية قبل ذلك فخالطتهم، وتحسست أوجاعهم. أو ربما بسبب أن القدس والخليل كانتا تحظيان بالاحترام باعتبارهما صنوا الحرمين الشريفين مكة والمدينة، فلذلك فقد بنت خرم شاه في القدس ما كان ينقصها تماماً إذ إنه في الخليل كان يتوفر منذ قرون "سماط الخليل الذي يوفر الطعام لزوار الخليل. أما القدس التي برزت الآن في هيئة جديدة خلال عهد السلطان سليمان فقد كان ينقصها مثل ذلك لتوفير الطعام إلى العدد المتزايد من زوار هذه المدينة المقدسة، وذلك بعد أن بنت خرم منشأتين مشابهيين في مكة والمدينة.^(٧١) كانت "روكسلانا roxelana^(٧٢) وهو اسمها الحقيقي حينما كانت جارية سلافية، وهو الاسم الذي عرفت به أيضاً

جعل لأبناء السبيل وأصحاب السفر،^(٧٧) والدكاكين التي لم يبق من آثارها شيء سوى البوابة الرئيسة المؤدية إلى ساحة مفصولة بدرج عريض ينفذ إلى ساحتين فيهما فرنان حجريان جنوبي، وآخر شمالي، ومطبخ، ويقع المطبخ خلف الفرن الجنوبي الذي ما زال يقدم الحساء للفقراء حتى اليوم، كما يوجد بعض الأواني التي كانت تستخدم للطبخ في المطبخ القديم، ويمكن مشاهدتها في المتحف الإسلامي في القدس في يومنا هذا^(٧٨). استخدم في بناء التكية حجارة الكنائس المتهدمة في ناحية القدس الشريف مثل كنيسة قرية قلونية^(٧٩). وقد قام بذلك البنائون والنجارون الذين استقدموا من دمشق لهذه الغاية^(٨٠). واكتملت عمارتها في ٢٤ ربيع الثاني ٩٦٠هـ/١٥٥٢م وحبت في أواسط شوال ٩٦٤هـ/١٥٥٦م.^(٨١)

اعتبرت العمارة العامرة (خاصكي سلطان) أهم مؤسسة خيرية في القدس في ذلك الوقت، وقد ضمت في فنائها مسجداً في أعلى بقعة فيها وقد اكتمل بناؤه سنة ٩٦٤هـ/١٥٥٦م.^(٨٢) وتم إقامة عمارة في الجانب المقابل للمسجد ضمت مطبخاً وفرنًا، ومخازن مختلفة أوقفت على الضعفة والمحتاجين، ورباطاً للدراويش^(٨٣)

في الكتابات الأوربية، ترافق السلطان سليمان في معظم زياراته للقدس، فأرادت أن توقف تكية تقوم على خدمة الفقراء والمحتاجين، ومدرسة لطلاب العلم، فأسست تكية ومدرسة خاصكي سلطان لهذا الغرض،^(٧٣) وكانت هذه التكية تقدم (٥٠٠) وجبة مرتين في اليوم، في الظهر وعند الغروب، وهذا رقم ليس بالقليل إذا أخذنا في الاعتبار عدد سكان القدس في القرن في بداية حكم السلطان سليمان ٤ آلاف ووصل إلى ١٣ ألف طالب مع نهاية حكمه.^(٧٤) وكان الطعام المقدم للإفطار هو شوربة بالأرز، وشوربة بالقمح للعشاء. وهما الوجبتان اليوميّتان اللتان يعدهما مطبخ العمارة العامرة، وغالباً ما يضاف إليه اللحم في أيام الجمع والأعياد.^(٧٥) وكان قاضي القدس هو المسؤول عن تعيين من يقدم الطعام لمستحقّيه، وهذا ما يوضحه النص الآتي "قرر مولانا أبو بكر أفندي حامل هذا الكتاب... يقدم في طاسة طعام ورغيفين في كل يوم صباحاً ومساءً من العمارة العامرة"^(٧٦) كما ألحقت بالتكية مرافق أخرى مثل الحمامات، ودور الرعاية الصحية، والخانات ذوات الإسطبلات وأهمها خان العمارة العامرة ذاتها الذي تصفه السجلات الشرعية بأنه منيف واسع

تم تخصيص مبلغ مالي، من قبل مصطفى الجليبي ناظر الحرمين الشريفين، لبناء حمامين جديدين، كمرافق إضافية لتكية خاصكي سلطان،^(٨٨) وتم شراء قطعة من الأرض في حارة الغوانمة لهذا الغرض من قبل فرهاد جليبي متولي وقف العمارة العامرة، وأمينها، بوكالة شرعية عن صاحبة التكية (خاصكي سلطان) بثمان بلغ قدره ثلاثمائة (٣٠٠) سلطاني من الذهب الجديد وذلك سنة ٩٦١هـ/١٥٥٥م.^(٨٩) قام بأعمال الحمامين معماريون استقدموا من اسطنبول حكرا لهذه الغاية، بلغ عددهم خمسة. وأشرف على أعمالهم فرهاد بن ياسف، وبيرام جاويش.^(٩٠) أنجزت أعمال التبليط سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م في الحمامين الجديدين، وألبس الشاذروانان^(٩١) بالبلاط الرخامي الملون، بمعرفة المعلم خليل بن نمر وأخوه محمود، بتكلفة وصلت إلى خمسة وسبعين سلطانياً ذهباً^(٩٢) ولم يغفل عن تزويدهما بالماء حينما أوصلا بماء السبيل القريب من باب القطنين عبر قناة مائية بطول (١٥٠) ذراعاً أنشئت لاستمرار وصول المياه إلى الحمامين دون انقطاع.^(٩٣) وقد خصص الحمام الشمالي منهما للرجال، بينما خصص الجنوبي للنساء.^(٩٤) وكانا يزودان

يتألف من: خمس وخمسين (٥٥) حجرة للمبيت والمأكل بدون مقابل، وأربع خانات واسعة لعابري السبيل، بالإضافة للمدرسة.^(٨٤) ولا غرو أن زيادة السكان في القدس كانت في المسلمين دون غيرهم، لما توفر لهم من أسباب الاستقرار والإقامة. وقفت عقارات عدة كأوقاف للتكية في مختلف أرجاء فلسطين في الرملة وغزة وبيت لحم، وحتى وجدت أوقاف لها في طرابلس الشام، وذلك لتوفير مورد مالي يمكنها من تقديم الخدمة لمن لجأوا إليها، ثم أوقف السلطان سليمان القانوني أوقافاً إضافية عقب وفاة صاحبة التكية سنة ٩٦٧هـ، وذلك لتتمكن من استمراريتها بتقديم المساعدة لمن يحتاجها.^(٨٥) وقد أدار العمارة جهاز إداري مكون من شيخ العمارة وكاتبها، وقد شغلت العناصر الرومية، حنفية المذهب، هاتين الوظيفتين طوال القرن السادس عشر الميلادي، ومنهم الحاج محمد آغا، شيخ العمارة العامرة، ٩٦١هـ/١٥٥٥م.^(٨٦)

حبست خاصكي سلطان مبالغ ضخمة جدا على التكية حتى بلغت (١٣٣٧٠٥) أقباج وذلك عام ٩٦١هـ/١٥٥٥م.^(٨٧)

حماما خاصكي سلطان:

قناة السبيل:

هي قناة رومية أنشأها الرومان لرفد مدينة القدس بالماء بطول ٤٧ كم، وتحترق القناة عدداً من الكتل الصخرية الضخمة عبر أنفاق هندسية فنية، وقد تم تحويل مياه العيون والسيول إليها لتغذية الآبار والبرك بالماء، ولكنها دمرت على مر العصور، واختفى جزء كبير منها بفعل عوامل عدة، مثل الحروب، والحلث والتعرية، واعتداء بعض قطاع الطرق والعاثين.^(٩٨) ولم يكتف السلطان بتعميرها، بل أوقف عليها الأوقاف للإنفاق من ريعها على تعمير القناة والبرك، وقد جرى تعمير القناة والبرك سنة ١٥٤٣/هـ ١٥٣٦م. حيث يذكر الدفتر رقم ٦٠٢ من دفاتر الطابو العثمانية ذلك، وهو مؤرخ في سنة ١٩٣٨م ويشير الدفتر إلى وقف الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، على القناة وتعميرها زمن المماليك^(٩٩) وقد عقد مجلس شرعي سنة ١٥٤٨/هـ ١٥٤١م في قبة السلسلة، وقرر السيد محمد جلبي النقاش، وشهد على نفسه أنه قد عمّر قناة السبيل من برك سليمان إلى القدس، وقد أوقفها على عامة المسلمين، وعلى أوقاف عامة المسلمين، وأنه عمّر بالإضافة إلى ذلك السبل الواصلة إليها من مياه برك سليمان بواسطة القناة

بالماء الساخن من خلال بيت نار وجد لهذه الغاية. وكان حمام الرجال يستقبل المستحمين ابتداء من صلاة الفجر وطول النهار.^(٩٥) وقد اندثر الحمامان في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي وبني في مكانهما بطيركية الأرمن الكاثوليك، وجل ما يشاهد منهما الآن هو بعض الحجارة التي كانت تشكل زينة للحمامات، وأحواض الحمامات.^(٩٦)

تعمير المنشآت المائية:

كانت مدينة القدس شحيحة المصادر المائية، وكانت تعتمد على جر المياه إليها من القرى المجاورة مثل قرية سلوان، وعلى مياه الأمطار التي يتم تجميعها في الآبار والبرك والصحاريح، كما سحب الماء من "عين العروب" التي تقع بين القدس والحليل^(٩٧) إلا أن ذلك لم يكن كافياً لتوفير المياه لسكان المدينة المتزايد أعدادها باضطراد، الأمر الذي حدا بالسلطان القانوني بالاهتمام بتعمير البرك والآبار والصحاريح، وهي الآبار التي تم حفرها داخل منازل القدس داخل السور من قبل السكان لجمع مياه الأمطار وحفر الأقبية والسبل لإيصال المياه لكافة أرجاء المدينة، وخاصة توفير المياه دون انقطاع للحرم القدسي الشريف مع ازدياد أعداد المصلين والزوار الذين قصدوا المدينة آمين البيت المقدس.

أن السلطان سليمان أوقف عليها حماية خاصة بها، كانت تقيم في حصن صغير الذي تطور فيما بعد ليصبح قلعة عرفت باسم قلعة البرك.^(١٠٤)

أسبلة السلطان سليمان القانوني:

السييل هو منشأة مائية أقيمت لتزويد عابري السيل بالمياه، كان إنشائه عادة جارية عند كل الملل منذ القدم، إلا أنها بصفة أكثر كانت عند المسلمين في معظم مناطق الشرق العربي ولا سيما في الجهات قليلة الماء.^(١٠٥) توزعت هذه الأسبلة في أنحاء عديدة من مدينة القدس، وهي سبعة أسبلة تم إقامتها في سنة واحدة، سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م، بفرمان من السلطان القانوني^(١٠٦) باستثناء سييل قاسم باشا الذي أنشئ سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٠م وقام بإنشائها للتغلب على النقص الحاصل للمياه خصوصا في فصل الصيف، وربطها بشبكة من القنوات المتصلة بقناة السيل وبرك سليمان^(١٠٧).

سييل باب الناظر:

هو واحد من سبعة أسبلة أقيمت بأوامر من السلطان سليمان القانوني، ويتكون هذا السيل من بناء مستطيل الشكل، يقع بالقرب من رباط بيرم جاويش^(١٠٨)، الذي أنشئ في شهر رمضان سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م بأمر من

المذكورة. وأن السيد الجلبي نفسه قد جعل جميع ما أنشأه، وفقاً شرعياً من أوقاف المسلمين العامة وصدقة جارية عن روح السلطان سليمان القانوني، ومنذ ذلك التاريخ نسبت البرك إلى سليمان، وأنه قد وقف على ذلك قرى عدة منها: كفر طاب، ومغلس، وجنداس، وترقومية، ونصف قرية القباب، وغيرها كما هو مذكور في كتاب وقف المدرسة التنكزية.^(١٠٠) وكان دخل القناة من الوقف يتراوح بين ٩-١٠ ألف أقة سنة ٩٥٩هـ/١٥٥٢م، وأمر السلطان سليمان القانوني بإعادة تعمير الجزء المؤدي إلى مدينة القدس، وتم تعمير البرك والآبار على جانبيها، لتزويد المدينة بالمياه وتم ربطها بأسبلة وشبكات متصلة لإيصال المياه لمختلف أنحاء المدينة^(١٠٢).

برك سليمان:

كانت تسمى "برك المرجيع"، وهي ثلاثة أقيمت على ارتفاعات مختلفة، وأطلق عليها "البركة الفوقا"، و"البركة الوسطى"، و"البركة التحتا"، ربطت بقناة السيل، وكانت المياه التي تنساب عبرها تنصب في آبار حفرت في أرض الحرم، وفي الأقبية والشبكات المتصلة، حتى تصل إلى كل بيت.^(١٠٣) ويذكر

يتكون هذا السبيل كغيره من الأسبلة، من واجهة حجرية بنيت من حجارة بيضاء مشذبة ذات أحجام متنوعة. وهو عبارة عن تخطيط مستطيل يبلغ طوله ٣٠,٧٠م وعرضه ١,٥م. يقوم في صدر كتلة السبيل حنية يبلغ عمقها ٧١سم وطولها ١,٩م، يعلوها عقد مدبب ينبت من حدرتين تستندان على طرفي جسم الكتلة الحجرية، وفي أسفله صنوبر للماء.^(١١٢) ويشبه بناؤه باب مسجد صغير كما رسمه "فان برشم"، ويتوسطه لوحة رخامية يبلغ قياسها ٥٥ سم نقش عليها بأن السلطان سليمان الأول أمر ببنائها في العاشر من محرم سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م.

وقد كتب عليها الآتي أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والخالقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم السلطان سليمان بن السلطان خان خلد الله ملكه وسلطانه بتاريخ عاشر شهر محرم الحرام في سنة ثلاثة وأربعين وتسعمائة^(١١٣) وبني مسجد مقابل السبيل إلا أنه لم يعد له وجود الآن بسبب توسعه الطريق في القرن الماضي. وقد أوكل الاشراف على البناء محمد جلي النقاش.^(١١٤) وقد تحول السبيل اليوم إلى مسرح للحفلات الغنائية على أيدي سلطات الاحتلال.^(١١٥)

الباب العالي عند إلتقاء الطريق المؤدي إلى باب الناظر بطريق الواد من الناحية الشمالية، وصفه "فان برشم van berchem في مطلع القرن المنصرم بأنه لوحة من السحر والجمال، ويحيط بالسبيل عامودان صغيران مرصعان بتاجين لاتينيين، ويقع فوق الفتحة قوس مطعممة بزخارف لاتينية، كما يوجد في وسط الواجهة نقش من ثلاثة أسطر كتبت بخط النسخ العثماني يفيد بأن السلطان سليمان القانوني هو من أمر ببنائه، ويبين تاريخ البناء،^(١٠٩) وكان يوجد فيما مضى حوض حجري للماء، إلا أنه أزيل، والسبيل اليوم في حالة سيئة، فقد بهتت معالمه واختفى الماء من صنوبره حاله كحال غيره من الأسبلة^(١١٠).

سبيل بركة السلطان أو سبيل باب الخليل:

يقع خارج حدود القدس القديمة، ويقع في الناحية الجنوبية الغربية من باب الخليل، وقد تفرد بذلك عن باقي الأسبلة الستة، ومكانه قريب من "جورة العناب" باتجاه باب الخليل، وهو بذلك يقع في منطقة حيوية تستقبل زوار المدينة القادمين من جهتي الغرب والجنوب، وكان متصلاً بالبركة من الناحية الجنوبية، إلى الشمال من طريق القدس إلى بيت لحم.^(١١١)

سبيل باب القطنين:

يعرف أيضا بسبيل الواد الواقع شرقي طريق الواد بقرب درج العين، ليس ببعيد عن مدخل سوق القطنين الغربي، وإلى الجنوب من المدخل تحديدا، توجد قوس فوق فتحة المياه، ويستند طرفا القوس على أعمدة منحوتة، ويوجد لوح رخامي كتب عليه ما يشهد للسلطان سليمان القانوني بأنه من أمر بنائه بتاريخ أول شهر رجب المرجب من شهور سنة ثلاثة وأربعين وتسعمائة. يبلغ طول حوض الماء أسفل الفتحة مترين، وارتفاعه ٥٤ سم، وهو مصنوع من الحجر الأحمر الصلب، وتوجد عليه عروق، وتم تغطية وجه الحوض بأقراص ثلاث في اطار مستطيل، ويعتقد أن الحوض كان تابوتا تم نقله إلى السبيل من مكان آخر. وكان يوجد بالقرب من السبيل حمام يدعى "حمام تنكز"، وكانت المياه الواصلة إليه لا تكفي حاجة الحمام، فاستفاد من قربه من سبيل باب القطنين لتعويض النقص الحاصل في المياه^(١١٦).

سبيل باب السلسلة:

يقع هذا السبيل الذي يتميز بزخرفة معمارية بديعة أكثر من غيره في الميدان الصغير المعروف بساحة باب السلسلة،

وهو يقابل الباب من الجهة الغربية. وتشبه واجهة السبيل البوابة المستطيلة، وبأسفلها حوض حجري للماء، يعلوها قوس عليه افريز متعرج^(١١٧) والإفريز: جمعه أفريز: وهو ما أشرف من الحائط خارجا عن البناء وهو عبارة عن جزء بسيط مزخرف يبين الحلية المعمارية^(١١٨) وعلى جانبي الواجهة أعمدة مجدولة رفيعة جدا، وفي وسط الواجهة تحت القوس خمس وردات متفتحة لها تسعة برانق (أوراق) بارزة، وكانت في الأصل ١٣ برنقا، وعلى الجانبين في أعلى الواجهة تاجان بارزان، ويلتف حول الواجهة كورنيش ينتهي بثنية حلزونية من الأسفل^(١١٩) وما يهنا هنا هو أن تحت الوردات المتفتحة لوحة رخامية تفيد بأن السلطان سليمان القانوني أمر بإنشائها، بتاريخ ثاني وعشرين شهر رجب المرجب من شهور سنة ثلاثة وأربعين وتسعمائة! ويوجد على جانبي الواجهة، في هذه الأيام، دائرتان كتب على اليمنى منهما "وقف" وعلى اليسرى إسلامي^(١٢٠) وكان هناك حوض للسبيل تحت لوحة النقش، لكنه أزيل أثناء التعميرات التي جرت في القرن العشرين. كما كان هناك حوض مماثل في المدرسة التنكزية المجاورة للسبيل (التي تدعى أيضا المحكمة)،

كتب فوق النقش المشار إليه، وقد ورد فيه ما كتب في النقش المنقوش بالعربية. (١٢٦) وتقوم مجموعة زخرفات فوق ذلك كله. وتتكون هذه الزخرفات من أربعة مداخل جميلة الشكل. وفوق ذلك كله، يقوم عقد مدبب، متموج الشكل (١٢٧).

- سبيل السيدة مريم (سبيل باب الأسباط):

يعتبر هذا السبيل هو آخر الأسبلة من حيث تاريخ عمارته، أنشأه السلطان سليمان القانوني في القدس، يقع على الجانب الشمالي من طريق المجاهدين أو طريق (ستنا مريم) على مقربة من باب الأسباط، (١٢٨) لا تفصلهما سوى أمتار قليلة، وتميز بناؤه بالبساطة عن باقي الأسبلة السلিমانية الأخرى، ولكنه يشبهها في مظهره العام، ولا توجد زخارف على حوضه ولا على الواجهة عموماً، (١٢٩) أما لوحة التأسيس في وسط الواجهة فقد انتزعت منذ زمن بعيد، في محاولة من قبل أحد السكان المجاورين لإخفاء الوضع القانوني للمبنى بوصفه من عقارات الوقف، ولكن نصها يشبه باقي نصوص اللوحات الأخرى للسبيل السلیمانية، وهناك لوحة صغيرة أخرى ما تزال مقروءة فوق اللوحة الأصلية، وفيها سطران من الخط العثماني هذا نصهما:

وقد أخذ هذا الحوض ووضع في متحف اللوفر سنة ١٨٦٦م. ويعتقد أنه كان من قبل تابوتاً، وقد استعمل في الأسبلة كما استعمل غيره من الأحواض في الفساقى التي أنشأها قايتباي. والفَسْقِيَّة: حوضٌ من الرُّخام مستدير غالباً، تمجُّ الماء فيه نافورة، ويكون في القصور والحدائق (١٢١) كان في مكان سبيل باب السلسلة، فيما يبدو، حوض حل السبيل محلها، ويظهر ذلك من قول مجير الدين العليمي: إن السلطان قايتباي عمر من جملة ما عمره: السبيل (أي سبيل قايتباي المشهور) (١٢٢) وكان قديماً مكانها حوانيت، ويقابلها من جهة القبلة حوانيت أخرى، فأزيلت الحوانيت من الجانبين وعمر السبيل، فانتفع به الناس. (١٢٣)

سبيل باب العتم:

لا يختلف سبيل باب العتم كثيراً عن غيره من الأسبلة من حيث الشكل. وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل. وضع بأسفله حوض حجري للماء، وقد كان الحوض تابوتاً فيما مضى أحضر من موقع آخر، ويمتد طولاً بعرض بناء السبيل. (١٢٤) ويوجد صنوبر للماء في منتصف واجهته يقع تحت نقش كتابي تذكاري كتب باللغة العربية على لوح من الرخام، يبين اسم السلطان وألقابه، وسنة البناء. (١٢٥) وهناك نقش آخر باللغة التركية،

خاتمة:

بينت الدراسة أن مدينة القدس شهدت في عهد السلطان سليمان القانوني عهداً من الرخاء والازدهار والسكينة، فأحكمت أسوارها، وحُصّنت قلاعها، وأغلقت أبوابها في وجه الغزاة المعتدين، ونعم أهلها بالأمان، فظلوا طيلة قرون ثلاث ينامون وراء أسوار منيعة، كما أُجريت الترميمات الضرورية لأهم معالم المدينة، وأنشئت التكايا لفقرائها، وعُمرت البرك، وأصلحت القنوات، وأقيمت الأسبلة لإيصال مياه الشرب لسكانها، لتبقى هذه الحقبة الزمنية من تاريخ القدس الطويل شاهدة على عصر مجيد، تستحضر منه ما تقاوم به سياسة تهويد المدينة في محاولات يائسة من قبل سلطات الاحتلال، لطمس معالم أسلمتها، فلم يغفل السلطان سليمان عن تحصين مدينة القدس بترسانة دفاعية للتصدي للغزاة الطامحين الطامعين، الأمر الذي أدى إلى زيادة سكانها من المسلمين، ويكأنه السلطان هب من تحت أطباق رسمه ليستشرف المستقبل فيأبى إلا أن يكون حاضراً يدافع عنها بإسهاماته فيها، فعاش فارساً منصوراً، ومات غائباً معذوراً.

الهوامش:

"سلام على روح النبي المطهر أجرت مياها ككوثر." (١٣٠)

كان السبيل يستند سابقاً إلى جدار قديم، هو جزء من بناء ذي طابق واحد، وأصبح يستند إلى جدار بناء جديد نسبياً، مؤلف من طابقين، وهذا البناء الحديث هو في الواقع دير القديسة حنا التابع للروم الكاثوليك، وفي هذا البناء من الجهة الشرقية أيضاً وفي مواجهة سور المدينة يقوم الآن حمام العذراء مريم. ومما هو جدير بالذكر أنه كان هناك قناة تصل إلى سبيل السيدة مريم، تحت الأرض تحمل الماء إليه من قناة السبيل، وكان قسم من ماء هذا السبيل يذهب إلى حمام السيدة مريم، أو حمام باب الأسباط حسب حاجة الحمام وكفايته. (١٣١)

- سبيل قاسم باشا:

يقع هذا السبيل بالقرب من ساحة الحرم الشريف على بضعة أمتار من باب السلسلة، وقد أنشئ سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٧م ويتألف من بناء مئمن تعلوه قبة مصفحة بالرصاص، ويحيط بالبناء مظلة رصاصية، وقد ثبت على الجدران صنابير للمياه محنية، وأمام كل صنوبر مقعد حجري للوضوء (١٣٢). ويقع في أرض بناء السبيل، قناة ماء. (١٣٣)

- حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣م، ص ٤٥٦.
- (٩) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان القانوني، ص ١٦-١٧. <http://www.dtaisaaf.org>
- (١٠) بركات، القدس الشريف، ص ١٣، لقد قام السلطان سليمان ببناء حوض الماء على شكل كأس، ومن المقنع جداً نسبته إلى السلطان سليمان حيث أنهى طابق الحوض الأصغر حجماً في التكية السليمانية في دمشق والذي تم الفراغ من بنائه عام ١٥٦٠هـ/١٥٦٠م، انظر: ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٦. <http://www.dta-isaaf.org>
- (١١) بركات، القدس الشريف، ص ١٣.
- (١٢) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ١١. <http://www.dta-isaaf.org>
- (١٣) اليعقوب، محمد، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر هجري، منشورات البنك الأهلي، عمان، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٤٢٨.
- (١٤) سجل محكمة القدس الشرعية، رقم ١٠، ص ١٠٦.
- (١٥) سجل محكمة القدس الشرعية، رقم ١٢، ص ٤٨٦-٤٨٧.
- (١٦) الحنبلي، العليمي، مجير الدين عبدالرحمن، الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣. ج ١، ص ٣٨٣-٣٨٦. العارف، عارف، المفصل في تاريخ
- (١) البكري، زين الدين المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلي الصباغ، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٠٤-١٠٥.
- (٢) البكري، المنح الرحمانية، ص ١٠٤-١٥٠.
- (٣) صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٥٩.
- (٤) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان القانوني، ترجمة بشير بركات، دار الناشبي للثقافة والفنون والآداب، القدس، د.ت، ص ١٦. <http://www.dta-isaaf.org>
- وانظر أيضاً السوارية، نوفان، سكان مدينة القدس الشريف في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٥، ع ١، ٢٠١١م، ص ٣٣.
- (٥) السوارية، نوفان، سكان مدينة القدس الشريف، ص ٣٣.
- (٦) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ١٦، <http://www.dta-isaaf.org>
- بركات، بشير، القدس الشريف في العهد العثماني، دار الفكر، أبو ديس، ٢٠٠٢م، ص ١٣.
- (٧) المقرزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٣٢١.
- (٨) القاشاني: نوع من الأجر ممزوج بالزجاج، وينسب إلى قرية قاشان الواقعة في إقليم خراسان: انظر غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، ١٩٨٨م. والرفاعي، أنور، الإسلام في

- القدس، المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤٣٢-٤٣٥.
- (١٧) العارف، المفضل، ص ٤٣١. اليعقوب، ناحية القدس، ص ٤٢٨.
- (١٨) العارف، المفضل، ص ٤٣٢.
- (١٩) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٥، ص ٧٨-٧٩. جاويش، سليمان، التحفة السنوية في تاريخ القسطنطينية، المكتبة العمومية، بيروت، ١٨٨٧م، ج ٣، ص ١٣٧-١٣٨.
- (٢٠) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٨٣-٣٨٤. العارف، المفضل، ص ٢٦٥.
- (٢١) عن لوحة تعريفية علقت على جدار برج اللقلق وما زالت موجودة حتى تاريخ البحث.
- (٢٢) عن لوحة تعريفية علقت على أحد أبراج سور القدس.
- (٢٣) العارف، المفضل، ص ٣٠٣.
- (٢٤) العليمي، الأنس الجليل، ص ٥٥.
- (٢٥) بركات، القدس الشريف، ص ١٠.
- (٢٦) سجل محكمة القدس الشرعية، رقم ٢، ص ٦.
- (٢٧) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٨. <http://www.dta-isaaf.org>
- (٢٨) بركات، القدس الشريف، ص ١٠-١١.
- (٢٩) سجل محكمة القدس الشرعية، رقم ٤٨، ص ٧٢.
- (٣٠) اليعقوب، ناحية القدس، ص ٤٤٧.
- (٣١) العارف، المفضل، ص ٣٠٥.
- (٣٢) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٨. <http://www.dta-isaaf.org>
- نجم، رائف وآخرون، كنوز القدس، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٣، ص ٣١٣.
- (٣٣) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٨. <http://www.dta-isaaf.org>
- (34) Gulru Necipoglu, **sixteenth century ceramic tiles, Muqarnas an annual on Islamic art and architecture**, the age khan program for Islamic architecture, ed; oleg grabar, at Harvard uni and the Massachusetts, volume vii, p137. □
- (٣٥) البهنسي، عفيف، العمارة والزخرفة في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ١٩٩٠م، ص ٧٩٦.
- (٣٦) العارف، المفضل، ص ٢٦٥. بركات، القدس الشريف، ص ٥-٦.
- (٣٧) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٤، ص ٢٧.
- (٣٨) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٢٢٣.
- (٣٩) أفجة: أو اخشاية، وهي عملة عثمانية فضية تساوي ثلث البارة. انظر: عامر، محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع ١١٧-١١٨، جامعة دمشق، ٢٠١٢م، ص ٣٦٢.
- (٤٠) سجل محكمة القدس الشرعية، رقم ٤٤، ص ٥٧٧.
- (٤١) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٣، ص ٢٠٩.
- (٤٢) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٤٤، ص ٥٧٧، سجل محكمة القدس، رقم ٤٦، ص ١٤٥. والعارف، عارف، تاريخ قبة

- (٥٣) المقدسي، أبو عبدالله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص ١٦٨.
- النايلسي، عبدالغني، المختار من الحضرة الأنسية، تحقيق: احسان النمر، ١٩٧٢م، ص ٣٥. العارف، المفصل، ص ٤٣٢.
- (٥٤) غوشة، بوابات القدس، ص ١٩-٣٢. طوطح، خليل، تاريخ القدس ودليلها، مطبعة مرآة الشرق، القدس، ١٩٢٢م، ص ٦٩.
- (٥٥) العارف، المفصل، ص ٤٣٣، نجم، كنوز القدس، ص ٣٤٤.
- (٥٦) ارن، خالد و توران، سفر، القدس من خلال الصور في الماضي والحاضر، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (ارسيكا)، استانبول، ٢٠١٥م، ص ١٧٦.
- (٥٧) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٤٤، ص ٥٤.
- (٥٨) النايلسي، عبدالغني، المختار من الحضرة الأنسية، ص ٣٦. العارف، المفصل، ص ٤٣٢، غوشة، بوابات القدس، ص ٦٥.
- (٥٩) البهنسي، العمارة والزخرفة، ص ٧٩١.
- (٦٠) البهنسي، العمارة والزخرفة، ص ٧٩١، غوشة، بوابات القدس، ص ٥١.
- (٦١) النايلسي، المختار من الحضرة الأنسية، ص ٣٦. العارف، المفصل، ص ٤٣٢.
- (٦٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٨. النايلسي، المختار من الحضرة الأنسية، ص ٣٦.
- (٦٣) ارن، خالد و توران، سفر، القدس من خلال الصور، ص ١٣٠.
- الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولحة عن تاريخ القدس، مكتبة الأندلس، القدس، ١٩٥٥م، ص ٩٠.
- (٤٣) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٥. <http://www.dta-isaaf.org>
- (٤٤) المرجع نفسه، ص ٥.
- (٤٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٨-١٩.
- (٤٦) العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ٣٥، ٩٢.
- (٤٧) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٣، ص ٥٠٧.
- (٤٨) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٤-٥. <http://www.dta-isaaf.org>
- (٤٩) غوشة، محمد هاشم، القدس في العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٠١.
- (٥٠) العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ٢١٥. ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ١٢. <http://www.dta-isaaf.org>
- غوشة، محمد هاشم، بوابات القدس، مؤسسة شومان، عمان، ١٩٩٢، ص ٦١-٦٤.
- (٥١) العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ٢١٤-٢١٥. ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ١٢. <http://www.dta-isaaf.org>
- (52) Natsheh, Y, Sabil Birkat Al-Sultan. In Auld, S. and Hillenbrand, R. eds, Ottoman Jerusalem the Living City 1517- 1917, part ii, London, 2000. P.677.□

- (٦٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٨.
الناقلي، المختار من الحضرة الأنسية،
ص ٣٦. غوشة، بوابات القدس، ص ٣٩-٤٠.
(٦٥) تقع في قبة الست طنشق بنت عبدالله المظفرية
(ت ١٣٩٧/٥٨٠٠م)، انظر العليمي، الأنس
الجليل، ج ٢، ص ٦٤-٦٥.
(٦٦) بركات، القدس الشريف، ص ١٧.
(٦٧) اليعقوب، ناحية القدس، ص ٢٥٣.
(٦٨) البكري، زين الدين، المنح الرحمانية،
ص ١٢٢، ١٠٤.
(٦٩) ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد
السلطان سليمان، ص ١٤.
<http://www.dta-isaaf.org>
(٧٠) بركات، القدس الشريف، ص ١٧.
(٧١) ارناؤوط، محمد، "نكية خاصكي سلطان" في
القدس رمز لمساهمة المرأة في الوقف خلال
العصر العثماني، ١ كانون أول ٢٠١٢م، كما هو
متوفر على الموقع: www.alhayat.com.
(٧٢) فتاة روسية الأصل، التحقت ببلاط السلطان
سليمان القانوني، لقبها خازن الكسوة بخرم
أي الضاحكة، بعد أن تزوجها القانوني
عُرفت بخاصكي سلطان أي محبوبته، انظر:
Heyd, Uriel, Ottoman Documents
on Palestine 1552-1615, The
Clarendon Press, Oxford, 1960. PP.
139-140.
(٧٣) العسلي، كامل، وثائق مقدسية تاريخية، كامل
العسلي، عمان، ١٩٨٣م، مج ١، ص ١٤٥-
١٥١.
(٧٤) السوارية، نوفان، سكان مدينة القدس
الشريف، ص ٣٣.
- (٧٥) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣١،
ص ٢٢٧. وسجل محكمة القدس الشرعية
رقم ٤٨، ص ٨٤.
(٧٦) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٧٩،
ص ٥٥٥.
(٧٧) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٧،
ص ١٩.
(٧٨) العسلي، وثائق مقدسية، ص ١٤٥-١٥١.
(٧٩) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ١٧،
ص ٤٣٧، و سجل ٢٤، ص ٦٩.
□ Heyd, Ottoman Documents, P.143 (80)
(٨١) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٧،
ص ٢٤.
(٨٢) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٧٠،
ص ١.
(٨٣) الرباط: هو المكان الذي كان يستخدم
لحراسة الثغور، وإذا كان داخل المدن فهو
يستخدم للتعبد. انظر: اليعقوب، ناحية
القدس، ص ٣٥٠.
(٨٤) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٧٠،
ص ١٨-٤٩.
(٨٥) العسلي، وثائق مقدسية، ص ١٤٥-١٥١.
(٨٦) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣١،
ص ١٠٨، ص ٥٣٨. وسجل محكمة القدس
رقم ٢٧٠، ص ٢٢.
(٨٧) اليعقوب، ناحية القدس، ج ١، ص ٢٥٠.
(٨٨) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٢٦،
ص ٤٦٨.
(٨٩) سجل محكمة القدس، رقم ٣١، ص ٦٣.
(٩٠) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣١،
ص ٢٩٠.

- (٩١) الشاذرون: كلمة فارسية معربة، وتعني بركة صغيرة من الماء، يخرج من أسفلها قناة تسمى سلسال. انظر: غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٢٣.
- (٩٢) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣١، ص ٥٠٢.
- (٩٣) المصدر نفسه، ص ٥٠٣.
- (٩٤) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٤٦، ص ٧٢.
- (٩٥) سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣١، ص ١٧٩.
- (٩٦) نجم وآخرون، كنوز القدس، ص ٣٢٤.
- (٩٧) أبو رميس، إبراهيم، قناة السيل: تاريخها وأهميتها وواقعها، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع ١٨، ٢٠١٠م، ص ٤٣.
- (٩٨) العارف، المفصل، ص ٤٣٨.
- J, Buckingham, *Travels in Palestine through the Countries of Bashan and Gilead East of the River Jordan*. Longman and Brown, London, 1822, Vol I, PP 225- 226.
- (٩٩) الحسيني، محمد أسعد، جدورنا في بيت المقدس، صحيفة المنار، ١٢ شباط، ١٩٩٦م، ص ١٠.
- (١٠٠) الحسيني، محمد أسعد، المنهل الصافي في الوقف وأحكامه والوثائق التاريخية للأراضي والحقوق الوقفية الإسلامية في فلسطين، ب.ن. القدس، ١٩٨٢، ص ١٠٩-١١٠. ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان ص ٩. <http://www.dta-isaaf.org>
- (١٠١) الحسيني، جدورنا، ص ١٠. ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان، ص ٩-١٠. <http://www.dta-isaaf.org>
- (١٠٢) الحسيني، جدورنا، ص ٤٣٨. ماينكه، ميشيل، تطوير القدس في عهد السلطان سليمان، ص ١٠. <http://www.dta-isaaf.org>
- (١٠٣) الحسيني، جدورنا، ص ٤٣٨.
- (١٠٤) أبو رميس، قناة السيل، ص ٥٥-٥٧.
- (١٠٥) الحسيني، محمود حامد، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧-١٧٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت. ص ٥.
- (١٠٦) العارف، المفصل، ص ٢٦٥.
- (107) Natsheh, Y, *Sabil Bab al- Nazir*. In Auld, S. and Hillenbrand, R. eds, *Ottoman Jerusalem the Living City 1517-1917*, part ii, London, 2000.PP.689-693.□
- (١٠٨) أنشأه الأمير بايرام جاويش بن مصطفى سنة ١٥٤٠م، انظر سجل محكمة القدس الشرعية رقم ١٧، ص ١٣٢.
- (١٠٩) العارف، المفصل، ص ٢٦٥.
- (١١٠) العسلي، كامل، من آثارنا في بيت المقدس، د.ن، عمان، ١٩٨٢، ص ٢٧٤-٢٧٦.
- (١١١) بركات، القدس الشريف، ص ١١.
- البهنسي، العمارة والزخرفة، ص ٨٢٤.
- Natsheh, Y, *Sabil Birkat Al- Sultan*. In Auld, S. and Hillenbrand, R. eds, *Ottoman Jerusalem the Living City 1517-1917*, partii, London, 2000.PP.677-680.□
- (١١٢) العارف، المفصل، ص ٣٦٥. نجم، رائف وآخرون، كنوز القدس، ص ٣٣٤.
- (113) Natsheh, Y, *Sabil Birkat Al- Sultan*, part ii, London, 2000.PP.677-680□
- (١١٤) العسلي، من آثارنا، ص ٢٧٤-٢٧٦.

- (١١٥) www.youtube.com، بركة السلطان في القدس تتحول لمسرح لحفلات اليهود.
- (١١٦) العسلي، من آثارنا، ص ٢٧٤-٢٧٦.
- (١١٧) العارف، عارف، تاريخ الحرم القدسي، مطبعة دار الإيتام، القدس، ١٩٤٧م، ص ٩٩، الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م. ج ٢، ص ٨.
- (١١٨) قاموس المعاني لكل رسم معنى، معنى أفريز: <http://www.almaany.com>
- (119) Natsheh, Y, **Sabil Bab al-Silsila**. In Auld, S. and Hillenbrand, R. eds, **Ottoman Jerusalem the Living City 1517- 1917, part ii, London, 2000.PP.685-688.**□
- (١٢٠) العارف، تاريخ الحرم، ص ٩٩.
- (١٢١) قاموس المعاني لكل رسم معنى، معنى الفسقية: <http://www.almaany.com>
- (122) Natsheh, Y, **Sabil Bab al-Silsila**. PP.685-686
- (123) Natsheh, Y, **Sabil Bab al-Silsila**. P. 686.□
- (124) Natsheh, Y, **Sabil Bab al-Silsila**. PP.686-687□
- (125) Natsheh, Y, **Sabil Bab al-Silsila**. P. 688.□
- (١٢٦) العارف، تاريخ الحرم، ص ٩٩. الدباغ، بلادنا فلسطين، ٨/٢. نجم وآخرون، كنوز القدس، ص ٣٣٨.
- (١٢٧) نجم وآخرون، كنوز القدس، ص ٣٣٨.
- (128) Natsheh, Y, **Sabil Bab Sitti Maryam**. In Auld, S. and Hillenbrand, R. eds, **Ottoman Jerusalem the Living City 1517- 1917, part ii, London, 2000. PP.698-701.**□